

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[10] ظلمة العدم وظهور نور الوجود، إستخدم هذا التعبير فيما يخصّ الخلق، خصوصاً إذا لاحظنا ما يقوله العلم الحديث من نظريات تشير إلى أنّ مجموعة عالم الوجود كانت في البدء كومة واحدة ثمّ انشقت تدريجياً عن بعضها. وإطلاق كلمة "فاطر" على الأ سبحانه وتعالى، يعطي للكلمة مفهوماً جديداً وأكثر وضوحاً. نعم فنحن نحمد الأ ونشكره على خالقيته، لأنّ كلّ ما هو موجود منه تعالى، وليس لأحد ممّن سواه شيء من ذاته (1). ولأنّ تدبير الأمور هذا العالم قد نيطت من قبل الباري عزّ وجلّ - بحكم كون عالمنا عالم أسباب - بعهدة الملائكة، فالآية تنتقل مباشرةً إلى الحديث في خلق الملائكة وقدراتها العظيمة التي وهبها الأ إيّاها! (جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إنّ الأ على كلّ شيء قدير). هنا تطرح ثلاثة أسئلة: الأول: ما هي رسالة الملائكة التي ورد ذكرها في الآية؟ هل هي رسالة تشريعية و جلب الأوامر من الباري إلى الأنبياء، أم أنّها رسالة تكوينية، أي تحمّل مسؤولية المأموريات المختلفة في عالم الخلق، كما سترد الإشارة إليه لاحقاً، أم يُقصد منه الإحتمالان؟ يتّضح من ملاحظة ما ورد في الجملة الأولى، من الحديث حول خلق السموات والأرض، وما ورد في الجملة الأخيرة من الحديث حول الأجنحة المتعدّدة للملائكة، والتي تدلّ على قدرتهم، وكذلك بملاحظة إطلاق مفهوم "الرسالة" بالنسبة إلى جميع الملائكة (يلاحظ أنّ الملائكة لفظة جمع لإقترانها بالألف واللام وتدلّ على العموم) يتّضح من ذلك كلّاه أن المقصود من الرسالة _____ 1 - فيما يخصّ معنى "فاطر" و "فطر" تحدّثنا في ذيل الآية العاشرة من سورة إبراهيم، وكذلك في تفسير الآية (14) من سورة الأنعام.